مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:25 عدد:60 السنة:2021

ظاهرة الاستبدال بين ضيق الصور النمطية وسعة المجال

the Replace between narrow stereotypes and domain capacity

مزوزي أنس[1]
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم–
anesismail3@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/07/10 القبول 2021/02/28 النشر على الخط 2021/10/30
Received 10/07/2020 Accepted 28/02/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

إنّ الغاية الملحّة التي تدعونا إلى كتابة هذه الدراسة هو بعض القيود التي تُفرض فرضا على الدرس اللساني وعلى الدراسات التطبيقية لآلياته في الظواهر اللغوية، ومن هذه القوالب التي جهّزها العلماء اللسانيون ظاهرة الاستبدال في الاتساق النحوي التي أرهقها قيد النمطية، فصارت الدراسات الإجرائية على النصوص التي تتوخى الاستبدال فيها تتقيّد بالقوالب الاسمية والفعلية والقولية التي ضبطها اللسانيون من قبل وحُصرت فيها، والحق أنّها أوسع مجالا من هذه القوالب والألفاظ.

إننا من خلال هذه الدراسة انتهينا إلى أنّ الإبدال يسهم في تماسك النص من خلال العلاقة بين المستبدل والمستبدَل به، وتتمثل في علاقة قبلية بين سابق ولاحق، وهذا ما يضمن الاستمرارية المتجسدة في وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة، وأنّه لا ينحصر فقط في الألفاظ المعيّنة كـ(آخر، وفعل، وذلك، ...) وغيرها مما هو مصطلح عليه، بل يكون غير نمطي كاستبدال الفعل من اسم الفاعل مثلا أو أن يكون استبدالا بسبيل التشبيه أو الاستعارات ولنا في هذا أمثلة تطبيقية.

الكلمات المفتاحية: الاستبدال، الاتّساق، النّصية، اللسانية، القوالب، النمطية.

Abstract:
The pressing purpose of writing these lines is some of the constraints imposed on the tongue study and the applied studies of its machinery in language phenomena. These are the stereotypes that have been designed by the ulema, and that have been replaced by the grammatical uniformity that has been imposed on the texts to be replaced, and that they are now subject to the wider and wider application and the right of the jurist One of these forms and phrases.

Through this study, we have concluded that substitution contributes to the consistency of text through the relationship between the replacement and the replacement, represented by a tribal relationship between the former and the later, which ensures the continuity embodied in the presence of the replaced element in the subsequent sentence, and that it is not limited to the terms designated as (other, and act, and so on, and so on,) and other than what is termed it, but is not stereotyped as replacing the name of the offender, for example, or being substituted for the verb Metaphor, we have practical examples.

Keywords: replacement, consistency, text, textual, textual, templates, stylistic.

[1]– المؤلّف المرسل: مزوزي أنس البريد الإلكتروني: anesismail3@gmail.com

مقدمة:

لا ريب أنّ ظاهرة الاستبدال من أدوات الدراسة للاتّساق النحوي، هذا الأخير الذي هو من آليات السّبك؛ أحد المعايير النصيّة، والتي تُعدّ من أهمها جنبا إلى الانسجام (الحبك)، فلمعالجة النصوص وتحليلها وفق منهج لسانيات النص لابّد من توفّر مجموعة من المعايير التي تجعل النّص الواحد قائما بذاته مستقلا عن غيره، ولذلك ننطلق من وسائل الربط والتماسك السطحي الذي يُعرف بالاتّساق، والعلاقات الدّلالية والمعرفة بعالم النّص والبنى الكبرى والتي تعرف بالانسجام، والنظر في السياق الذي ولد فيه النّص لمعرفة إمكانيّة دراسته دراسة تداولية ...، وهكذا حتى تثبت نصيّته من عدمها.

وفي هذه الدّراسة سنتعرّض إلى آلية من آليات الاتّساق النحوي وهي (الاستبدال)، غير أنّنا نتعرّض إليها بسبيل النقد والتّفحص، الذي –وإن كان سبقنا إليه الباحثين– إلا أننا نريد له شيئا من التأكيد مع الإجراء التطبيقي على بعض قصائد الشاعر المبدع أبي القاسم خمّار في ديوانه (ربيعي الجريح). هذا التطبيق الذي يشدّ عضد هذا الرأي ويثبته.

ولقد جعلنا من المنهج اللساني التحليلي مطيّة لهذه الدراسة لكي نصل بها وبسبيلها إلى غايتنا في أمرين هما؛ أثر الاستبدال في تحقيق الاتّساق مع مراعاة سعة المجال التي باستطاعة الإبدال أن يحتويها كآلية مهمّة من آليات السّبك، هذه السّعة التي تخرج به من القوالب النمطية التي ضُبط وحُدّد بها.

إنّ أسئلة هذا الموضوع تَتَحدّد في ما يلي:

إلى أيّ مدى يمكن أن تُدْرِك قوالب الاستبدال المحدّدة (النمطية) الظواهر النصية كلها ؟ ومنه يمكننا أن نجيب أيضا عن أسئلة ضمنية تتمثل في: ما الاتّساق اللغوي عامّة والنحوي خاصّة؟ وما حدّ الاستبدال؟ وما أنماطه؟ وكيف هي الأشكال التي يتجلّى بها في النصوص؟

1. توطئة في الاتّساق اللغوي:

1.1. حدود الاتّساق:

نعلم جميعا ما كانت عليه المناهج السابقة من نظرة جزئية إلى العمل الأدبي، هذه النظرة التي قامت على الأحكام المنفردة ومنه جاءت الحاجة إلى منهج ودراسة شاملة وكاملة للأعمال الأدبية فالمناهج التي صاحبتها كالبنيوية والوظيفية والتداولية وغيرها كانت كل واحدة تعتمد على نقائص وسلبيات غيرها حتى تصل بالدراسة إلى الذي يرجوه الباحث، وعليه كان التتويج بمنهج لسانيات النص (النصيّة)، وأصبح هدف الدراسة للعمل الأدبي هو تحليل العناصر المكوّنة للنص وإدراك الظواهر التي تحقق النصيّة فيه، "وهكذا بدأ الحديث عن النحو الأصولي، والنحو السردي، والنحو النصّي"[1]، وبما أنّه لكل منهج آلياته ووسائله فإنّ المعايير التي قامت عليها لسانيات النص من حيث المنهج والتحليل هي كما يحدّدها **دي بوغراند De Bogrand** و **دريسلر Drissler** سبعة معايير (الاتّساق والانسجام والإعلامية والقصدية والقبولية والمقامية والتناص)، يجب توفرها أوبعضها في كل نص، فإذا كانت هذه المعايير غير متحققة فإنّ الحكم على النص يكون بعدم اتّصاليته ونصّيته.

[1] سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1994م، ص 27.

يعرّف **محمد خطابي** الاتّساق بأنّه ذلك "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب وخطاب برمته"[1]، فغياب الاتّساق يهوي بالنص إلى مغبّة الرّكاكة، فالقرائن اللغوية (الشكلية) والتي هيّ من آليات الاتّساق تعمل على تحقيق هذا التماسك والذي يؤدي بدوره إلى عملية الإفهام وتداول الخطاب/النص.

ويبدو "أنَّ **هارفنج** له أول محاولة 1968 جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص من خلال الحديث عن بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة والاستبدال مشيرا إلى التكرار والحذف والترادف والعطف و التفريغ والترتيب وذكر النتيجة بعد السبب و الجزء بعد الكل أو العكس، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص"[2]، وبالعودة إلى حدّ الاتّساق عند المفكرين المحدثين نجد **محمد الشاوش** يقول عنه: "بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها بعض"[3]، أما **صبحي إبراهيم الفقي** فيقول في كتابه (علم اللغة النصي): "بأن مصطلح Cohérence يستخدم للتماسك الدلالي، ويرتبط بالروابط الدلالية، بينما يعني مصطلح Cohésion العلاقات النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة... ونرى بدلا من هذا الاختلاف أن المصطلحين يعنيان معا التماسك النصي ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما وليكن Cohésion ، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي فالأول يهتم بعلاقة التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى... ومن ثم فسوف نعتمد على مصطلح " Cohésion بمعنى التماسك "[4].

تحدّث الخطابي عن أدوات تحقق الاتّساق بين مكوّنات النّص/الخطاب في ذلك يقول: "ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص، يسلك المحلل (الواصف) طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته راصدا الضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك...كل ذلك من آجل البرهنة على أنَّ النص/الخطاب (المعطي اللغوي بصيغة عامة) يشكل كلا متآخذا"[5].

2.1. الاتّساق النحوي وآلياته:

وسنميل للاختصار في معرفة هذه الآليات لأنّ الغاية في هذه الصفحات هي معرفة الاستبدال كمّا بينّا سابقا، وعليه ففي درس لسانيات النص اهتم اللغويون كثيراً بدراسة الجملة والنص، وقد أخذت الجملة اهتماماً كبيراً من الباحثين والدارسين لأنها، ومن بعدها النص، لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللساني ابتداء منها، للوصول إلى معرفة كيفية تماسك بنائه الكلي، والوصول

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 01، 1991، ص 05.
[2] إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص187.
[3] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس،2001م، ط1، ج1، ص 124.
[4] صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قياد، القاهرة، ط1، 2001 ص96/95.
[5] محمد خطّابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 05.

إلى معناه، ولمعرفة هذا التماسك انطلقت لسانيات النص من وسائل وآليات تحددت في جوانب سبق ذكرها إجمالا، وتخصيصا في هذا المبحث نطْرق الجانب النحوي وآلياته في تحقيق الاتّساق.

وما دام الاتّساق –كما عرفناه– يعني الترابط والتماسك في الشكل فإنّه يتحقق بروابط لغوية معيّنة "وهذا الترابط يهتمّ بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنص"[1] فهذه غاية التحليل في المستوى النحوي.

تتحدد وسائل الاتساق النحوي وآلياته في أربعة أنواع وهي: الإحالة والحذف والوصل والاستبدال:

- **الإحالة:** و" يقصد بها أنها العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى لفظة متقدمة عليها أو متأخرة عنها أو خارج النص فهي عملية تربط بين الجمل"[2]، و لعّل أول من أشار إلى الإحالة بوصفها مصطلحًا لغويا أو نحويًّا في التراث العربي هو **ابن رشيق (ت456هـ)** بقوله: " ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة، ويشير به إشارة، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيه به.... فهذا النوع من أبعد التضمينات كلها، وأقلها وجودا، وذلك نحو قول أبي تمام:

لَعمُرو مَعَ الرّمْضَاءِ، والنَّارُ تَلْتَظِي أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْك فِي سَاعَةِ الْكَرَبِ

أراد البيت المضروب به المثل وهو:

المستجير بعمرو عند كربتـــه كالمستجير من الرمضاء بالنـــار"[3]

وإذا ما عدنا إلى حدّ الإحالة عند الغربيين المحدثين نجد **جون لويتز John Lowens** يقول عن الإحالة بأنها: "العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها"[4]، "ويحدد **آن روبول Anne Rupaul** و**جاك موشلر Jack Mosler** شرطا لنجاح هذا الفعل اللغوي ويتمثل في تطابق الشيء الذي يتصوره المخاطب كمحيل عليه في التعبير الإحالي مع ما يقصده المتكلم باستعماله لهذا التعبير، فهي إذن العلاقة القائمة بين الأسماء والأشياء وهذا ما يُعبر عنه بـ(وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحيل إليه)، وفي الوقت نفسه يعتبران أنّ الإحالة ظاهرة مزدوجة فهي لغوية وتداولية في آنٍ واحدٍ"[5]، وقد عرفها **دي بوجراند De Bogrand** بأنها "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والموقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[6]، فالإحالة إذن في بعض مهامها تقوم على ترجمة الدّال إلى مدلول متّفق عليه أهل تلك اللغة، وكما يشير **ميرفي Murphy** إلى الإحالة على أنها "ترتيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنيا في

---

[1] جمعان عبد الكريم، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصيّة، مجلّة علامات، ماي 2007، مجلد 61، ص 210.

[2] بن الدين بخولة، الاتساق والانسجام النصي– الآليات و الروابط–، دار التنوير، الجزائر، 2014، ص09

[3] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988م، ص708.

[4] ج.ب برون ج بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومينرا التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (دط)، 1997م، ص 36.

[5] شريفة بلحوت، الإحالة –دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين من كتاب Cohesion in English–، رسالة ماجستير، إشراف: الحوس مسعودي ومفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص 22.

[6] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1988، ص 172.

النص الذي يتبعه أو الذي يليه"[1]، وبهذا يتبيّن لنا العلاقات القائمة بين أجزاء النص والتي تقوم الإحالة بينها بوظيفة الإفهام لأنّ العناصر المحالة ليست مستقلّة عن غيرها في الدّلالة وهنا يكمن جوهر الاتساق في وظيفة الإحالة.

- **الحذف**: هو "ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية وتبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحا ونحن نرى أنّ ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز جعلها –مثلا– تضمر فعل الكينونة في الربط بين جزئي الجملة الإسمية، ولا تذكر لفظا للتعبير عن الكون المطلق أي مجردّ للوجود، فهو واجب الحذف إذا كان خبرا للمبتدأ بعد (لولا) ... وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثير من اللغات التي تظهر أفعال الكينونة"[2] ، "كما أن الاستبدال عملية يتم بواسطتها الاتّساق فكذلك الحذف، وهما من هذه الناحية متشابهان إلا أنّ الحذف يختلف من حيث أن العنصر المبدل به هو الصفر ويسميه هاليداي ورقية حسن (zéro substitution)[3] ، وقد قسّم هاليداي ورقيّة حسن الحذف إلى أنواع وهي كما ساقها محمد خطّابي بعد أن تكلّم على تقسيمهما –هاليداي ورقية حسن– للاستبدال بقوله:" ... فإنّهما فعلا نفس الشيء بالنّسبة للحذف"[4]، ثم ذكر أنهما قسّماه إلى حذف إسمي وحذف فعلي وحذف داخل شبه الجملة.
- **الوصل**: وقد نجده باسم العطف أو الربط ويعرّفه الخطّابي بقوله: "أنّه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللّاحق مع السابق بشكل منظم، معنى هذا أن النص عبارة عن جمل ومتتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص"[5]، و يمتاز الربط عن باقي عناصر التماسك بكونه لا يبحث عن مرجعية في السابق عليه أو اللاحق له مثلما كان الحال في الإحالة ، أو يحتاج إلى تقدير محذوف حتى تكتمل سلسلة المتتابعات النصية ، و إنما تقوم علاقة الربط أصلا على أدوات تجمع بين جملتين في المتتالية النصية ،و إنما تقوم علاقة الربط أصلا على أدوات تجمع بين جملتين في المتتالية النصية لإفادة التماسك بينهما ، و هذه العلاقات المتنوعة ، و من ثم نص المحدثون على صعوبة حصر أدوات الربط في لغة ما ، إلا أن الأمر يختلف في العربية لكون أدوات الربط اللفظية محدودة ويمكن حصرها في أي خطاب، ويعد الوصل مخالفا لوسائل التماسك الأخرى، "فهو يختلف اختلافا تاما عن بقية وسائل التماسك النصي، التي سبق الكلام عنها، من حيث أنه يصل وصلا مباشرا، بين جملتين أو مقطعين في النص فهو ليس

[1] ريما سعد سعادة الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، ع 07، د.ت، ص 82.
[2] طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998م، ص 9.
[3] مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص لسانيات النص، جامعة الجزائر، 2007 -2008 ، ص 239.
[4] محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص22.
[5] المرجع نفسه، ص 23.

كالإحالة و يقوم الوصل بالربط بين الجمل و جعلها متناسقة و متماسكة"[1] "ولما كان النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقيا، وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تصير نصًّا متماسكا[2].

2.الاستبدال حَدُّه وأَضْرُبُه:

وفي هذا المبحث سنقتصر الحديث عن الاستبدال كما هو في قوالبه النمطية وهو كما ينقل **صبحي إبراهيم الفقي** على لسان النصيين، "هو إحلال عنصر لغوي مكان آخر داخل النص، ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه، والآخر الذي حلّ محلّه المستبدل به وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصيّة متوالية فإنّهما يقعان –حسب هارفج- في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض"[3] ، فالاستبدال يسهم في تماسك النص من خلال العلاقة بين المستبدل والمستبدَل به، وتتمثل في علاقة قبلية بين سابق ولاحق، وهذا ما يضمن الاستمرارية المتجسدة في وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أقسم كما ذكره **جميل حمداوي**: "الاستبدال الإسمي، الاستبدال الفعلي، الاستبدال القولي. وإذا كانت العلاقة بين المحيل والمحال إليه (الإحالة) علاقة تطابق، فإنّ العلاقة بين المستبدِل والمستبدَلَ علاقة تقابل (الاستبدال)"[4]، وفيما يلي تفصيل لهذه الاقسام فيما ورد عند الخطّابي يقول: وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع :[5]

أ. **الاستبدال الاسمي**: ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية (آخر، آخرون، نفسي...)كقوله تعالى :(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) آل عمران الآية 13.

ب. **الاستبدال الفعلي**: ويمثله استخدام الفعل (بفعل) مثل: هل تظن أن المتنافس النزيه يحترم خصومه؟ نعم أظنه (يفعل)، الفعل (يفعل) استبدل جملة (يحترم خصومه)، التي كان من المفروض أن تحل محله.

ج. **الاستبدال القولي**: باستخدام (ذلك) مثل قوله تعالى (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) الكهف الآية 64، فكلمة (ذلك) جاءت بدلا من الآية السابقة عليها مباشرة : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) الكهف الآية 63.

وفيما يقابل الاستبدال –كإجراء في البحث اللساني الحديث- في الدراسات العربية اللغوية القديمة يقول **ابراهيم الفقي** " ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القدماء لم يلتفتوا إلى هذا النوع من الاستبدال، وإن كانوا تحدثوا عن الإبدال النحوي، والإبدال بين الحروف بعضها ببعض، والكلمات بعضها ببعض على اختلاف لهجات القبائل، وهو يختلف عن المفهوم الذي عرف به عند النصيين، وإن كنا لا نعدم شواهده فقد ذكره ابن هشام في سياق الحديث عن لفظ (كذا) حيث يقول: «ترد على ثلاثة أوجه،

[1] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2008م، ص 94.

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –الخطابة النبويّة أنموذجا-، مجلّة علوم اللغة، المجلّد التاسع، العدد الثاني، 2006م، ص 23.

[3] صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، علوم اللغة، المجلد 09، العدد 02، 2006م، ص24/23.

[4] جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، دار الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2015م، ص73.

[5] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 124.

أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه وذا الإشارية كقولك: رأيت زيدا فاضلا ورأيت عمرا كذا ...». فنلاحظ العنصر المستبدل به (كذا) والمستبدل منه (فاضلا)، وكأن الكلام رأيت زيدا فاضلا ورأيت عمرا فاضلا، إلا أن ابن هشام لم ينص على اصطلاحه بما عرف به عند المحدثين"[1].

ومما يجدر الإشارة إليه الفروق بين الإحالة الاستبدال وفيما يلي رصد لها إلا أنّ ثمة فروقا بين الإحالة الاستبدال وهي التي تميّز الاستبدال وتمنحه الخصوصية ومن هذه الفروق[2]:

- أنّ الاستبدال لا يقع إلا داخل النّص، في حين تقع الإحالة دخل النّص وخارجه، فالاستبدال أخصّ من الإحالة في ذلك.
- أنّ الاستبدال يُعدّ علاقة بين طرفيه على المستويين النحوي والمعجمي، أما الإحالة فهي علاقة على المستوى الدّلالي.
- أنّه يُشترط في الاستبدال كون عنصريه مشتركيْن في البنية الوظيفية، في حين لا يُشترط ذلك في الإحالة.

3.الاستبدال غير النمطي – دراسة إجرائية لبعض النصوص الشعرية–:

الإبدال كما عرفنا عملية تتعلق بداخلية النّص كما يصفه محمد خطّابي، وهي تعويض عنصر لغوي بآخر، –كما فعل الآن– فكلمة (آخر) مستبدلة بـ(عنصر لغوي)، وهذا صميم الاتّساق والتماسك في العبارة السابقة، وعليه فالاستبدال عملية تتمّ داخل النّص بين عنصر متقدّم وعنصر متأخر عليه، و(المتأخّر عليه) يأتي بديلا عن سابقه، "فهو يربط بين عنصرين متباعدين"[3]، فالاستبدال بهذا المفهوم أخصّ من الإحالة إذ هي تقع داخل النّص وخارجه (إحالة نصيّة وإحالة مقامية) أما هو فلا يقع إلا داخله، فهو وسيلة قويّة تكفُل اتّساق النّص.

وكما أشرنا سابقا أنّ الاستبدال يكون على ثلاثة أضرب: استبدال اسمي، و استبدال فعلي، وآخر قولي، ولكن قبل أن ندخل في العملية الإجرائية الوصفية والتحليلية للاستبدال في ديوان **خمّار** نمهّد لضرورة الأخذ بعين الاعتبار ما يسمّى بالاستبدال النمطي وغير النّمطي، أي الاستبدال المخصص في الألفاظ (آخر، وأخرى، ونفس ..) (فعل..) (ذلك ..) بالنسبة إلى الأنواع الثلاثة فهذا استبدال نمطيٌّ قد يقلّ في النّص الشعري كثيرا لأنّه محدود العبارات والأساليب، " أما غير النّمطي كالإتيان بأسماء الإشارة ليس من قبيل الإحالة لعدم وجود مرجع إلى هذه الأسماء كقول الشاعر (الجواهري):

أَصَاحبُ الأمرِ يَهْوى شيئًا ونحن نجادلْ؟
نُريدُ وضعًا جديدًا لكن بغير مخاضِ
شَعْبِي لِهذا وهَذَا غنيمةٌ بالتَّراضي

[1]صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، ص19.

[2]صالح بن عبد العظيم فتحي، شعر محمد مهدي الجواهري –دراسة نحوية نصيّة–، رسال دكتوراه، إشراف: الطويل محمد عبد المجيد، كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، 2009م، ص 70.

[3]زاهر بن مرهون الدّاودي، الترابط النّصي بين الشّعر والنّثر، دار جرير، عمّان، ط1، 2010م، ص 112.

ويظهر أنَّ الشاعر كان يَبغي أن يقول: (لفلان وفلان)، ثمَّ توسَّل بالاستبدال إلى التعتيم؛ حرصًا على ألَّا يؤخذ بإشاراته إلى مَن يملك السلطةَ بالخيانة والرِّشوة، لا سيَّما وهو يَعترف ضمنًا بأنَّ كلامه هذا (وخزات)"[1].

ومن الاستبدال الذي تقفّيْناه في ديوان أبي القاسم خمّار (ربيعي الجريح) ما يلي:

في قصيدة (يا غرفتي) والتي يقول فيها[2]:

كَمْ مَقْعَد فِي غُرْفَتِي يَنْتَظِرُ كَمْ شَمْعَةٍ فِي لَيْلَتِي تَحْتَضِرُ
مِدْفَأَتِي تَأْكُلُ مِنْ أَحْشَائِهَا تَرْمُقُنِي فِي حَيْرَة تَسْتَفْسِرُ
وَنَغَمُ الْبِيكَابِ أَمْسَى سَاخِرًا يَهْزَأُ مِنْ أَلْحَانِهِ لَا يَشْعُرُ
يَنُوحُ كَالسَّجِين فِي زَنْزَانَة أَضْوَاؤُهَا وَهْم وجرحٌ أَصْفَرُ

هنا يوجد استبدال غير نمطي، الأوّل فعلي في قوله (يهزأ) وهي فعل مستبدل من اسم الفاعل قبله (ساخرا)، وكأنّ التركيب قبلها سيكون (ساخرا يسخر من ألحانه ...)، فاستبدلها بما يماثلها ويوازيها في معناها استدعاءً لكثرة المعاني وصوغا حسنا للتركيب الدّلالي والإيقاعي.

كذلك استبدال اسمي غير نمطي في قوله (كالسّجين) وبغضّ الطرف عن كاف التشبيه فإنّ (السّجين) بديل لـ(نغم البيكاب) في المفهوم من اللّفظ، وطريق الاستبدال هنا التشبيه، وقد جاء وسيلة اتّساق دلالية ففيه إيحاءٌ بصفة يريد الشاعر إثباتها وهي سخرية الحياة من نفس الشاعر إذ يعيش بين لوعة الفراق وشوق اللقاء.

قصيدة (سيّـــــان) نجد استبدال غير نمطي وهو استبدال قولي في:

شوق اللّقاء إلى البيضاء يُلهبني
والحبّ يا شام، بالفيْحاء كبّلني[3]

إلى أن يصل لقوله: سيّان .. لا الشَّامُ إنْ فَضّلتُ تُنْقِذُنِي
ولا الجَزَائِرُ .. قَدْ أَضْحَى الأَسَى وَطَنِي

ففي (قد) من قوله: (قد أضحى الأسى..) استبدال عباري غير نمطي فيما ألفنا باستخدام (ذلك) أو ما يماثلها، بل نرى الشاعر قد خالف توقّع القارئ في افتراض كلمة (سيّان) فيما سيأتي من العبارة بعد كل من الشام والجزائر إلا أنّ الشاعر استبدال عبارة (ان فضّلت تنقذني) بـ(قد أضحى الأسى وطني)، وقد جاء هذا الاستبدال في ختام النّص مساهما في تذكّر الأبيات السابقة مما ورد فيها من معاني الشوق ولوعة الفراق.

وفي الاستبدال القولي أيضا غير النمطي نجده في قصيدة (اعتراف) في قوله[4]:

---

[1] صالح بن عبد العظيم فتحي، شعر محمد مهدي الجواهري –دراسة نحوية نصيّة–، ص 70.

[2] محمد أبو القاسم خمّار، ربيعي الجريح –شعر–، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص115.

[3] المرجع نفسه، ص 99.

[4] محمد أبو القاسم خمّار، ربيعي الجريح –شعر–، ص 85.

أَنَا أَهْوَاك فَثُورِي وَالْعَنِينِي وامْلَئِي دَرْبِي صُدُودًا وانْبُذِينِي
لَمَ أَطِقْ صَبْرًا وَفِي عَيْنَيْك سِرٌّ يَتَحَدّى كُلّمَا وَاجَهَ عَيْنِي
عَلَى ثَغْرِكِ نَيْسَان الأَمَانِي نَشْوَة تَسْرِي بِأَعْمَاقِ سِنِينِي
كُلُّ شَيْءٍ فِيكِ فِي نَفْسِي جَمِيلٌ فَوْقَ مَا أَعْرِف عَن وَعْدِي وَدِينِي

ف(كل شيء) عنصر لغوي مستبدل بعبارات قبله في النّص هي تعداد أوصاف الشاعر لمحبوبته والحديث هنا عن عبارات سابقة ك(في عينيك سرّ) و(على ثغرك نيسان) ثم استبدلها الشاعر بـ(كل شيء) فهذا ملمح نصّي مرتبط بما قبله وكأنّه يحيل القارئ إلى تعداد الأوصاف السابقة فترتبط عند الدّلالة بين السوابق واللواحق في (كلّ شيء).

ومثل هذا الاستبدال القولي غير النمطي في قصيدة (الرسالة الأولى) في قوله:

إِلَيْكِ يَا حَبِيبَتِي
إِلَيْكِ يَا حَقِيقَةْ
كَشَعْرِك الجَمِيلْ
كَأَنَّهُ أَشِعَّةُ الأَصِيلْ
إلى عُيونِك الّتِي أَسْمَيْتُها البحيْرة
عُيُونك الخَضْرَاء ..يا حَبِيبَتِي
وكلُّ شَيْءٍ فِيكِ
يثير ألف غَيْرة

فالعنصر اللغوي (كل شيء) مستبْدَلٌ من كل العبارات السابقة له.

ويبدو أنّ عناصر الاستبدال غير النمطية أوسع مجالا من هذه الألفاظ التي حُدّدت بعينها، فأريد للاستدلال أن ينحصر، وليس للشعر –إن كان محصورا– فيه نصيب.

وفي القصيدة نفسها نجد استبدالا فعليا غير نمطي كذلك في قوله:

عَابِثاً بِالعَهْدِ فِي جنْبَيْه قَلْبٌ بالغواني في الهوَى غَيْر أَمِينٍ

فقوله: (عابثا) اسم فاعل عَمِل عَمَل فعله، والموضع هنا يستدعي الفعل بالقوّة (يعبث)، وكأنّ تركيب الجملة الأصلي (عابثا بالعهد في جنبيه قلب {يعبث} بالغواني ...) ثم اختزل التركيب (عابثا يعبث) في (عابثا) واستبدل اسم الفاعل بفعله.

ومن مواضعه أيضا في الدّيوان قصيدة (عتاب) إذ يجيء فيها الاستبدال الفعلي غير النمطي إذ يحلّ اسم فاعل مكان فعل آخر متقدّم عليه، يقول[1]:

فَأَبْكِي ..وَأَبْكِي .. ولَكِنْ بِلَا مُؤَاسٍ مَع الشَّاعِرِ النَّاحِبِ

[1] المرجع نفسه، ص 71.

فاسم الفاعل (ناحب) فهي بدل الفعل (يبكي) الذي سيضع التركيب في متخيّل القارئ كالتالي: (...بلا مؤاس ينحب {يبكي} مع الشاعر النّاحب).

ومثلها في وقوله: ويخبو الشعاع البهيّ رويدا رويدا .. مع الشّفق الغارب

فالاستبدال الفعلي يستقيم في اسم الفاعل (غارب) وكأنّ العبارة تكون: (ويخبو الشعاع البهي رويدا رويدا {ويغرب} مع الشفق الغارب) إلا أنّ الشاعر استبدل واختزل الفعل في اسم فاعله (غارب) فحلّ محلّه، وهذه الصورة من صور الاستبدال غير النمطي الفعلي باسم الفاعل تتكرّر كثيرا في ديوان خمّار.

وفي قصيدته (إلى صديقة) يستعمل الشاعر استبدالا اسميا غير نمطي عن طريق التشبيه إذْ يبعث رسالة إلى صديقته (نجلاء) فيذكرها في بداية القصيدة ثم يستبدلها بالكثير من الأوصاف بسبيل التشبيه على مدار 18 بيتا كلها مكان اسم (نجلاء) وانظر لقوله[1]:

إليك يا صديقتي "نجلاء"
يا أمل الجزائر البيضاء
يا نغمة شاردة الأصداء
تختال كالملاك كبرياء

إلى أن يصل إلى قوله:

إليك من منابع الإخاء
تحيّة التقدير والوفاء

فمن طرائق الاستبدال وسُبُله أن تكون صنوف الاستعارات والتشبيهات، حيث يحلّ اسم ظاهر مكان آخر من غير أن تتحقق شروط الإحالة.

ومثل هذا الاستبدال نراه في قصيدة (شقراء). إذ يذكرها بهذا الاسم (شقراء) في أول بيت من القصيدة ثم يستبدلها بنعوت وضمائر، من باب استبدال الاسم بالضمير أو النعت، من قبيل قوله تعالى: "فإنّ الجنّة هي المأوى"[2]، فالضمير (هي) مستبدل من الجنّة وكأنّ العبارة (فالجنّة مأواه)؛ وفي هذه القصيدة –شقراء– يقول:

شَقْرَاء يا فَاتِنَة الشّعَاعِ والضِّيَاءِ
يَا بَسْمَةَ الشُّرُوقِ يا وَاهِبَةَ الإغْرَاء
...

[1] المرجع نفسه، ص 67.
[2] سورة النّازعات، الآية 41.

مَنْ أَنْتِ يَا مُلْهِمَةَ الغَابَاتِ والأَصْدَاءِ؟

خاتمة:

وفي ختام هذه الدّراسة نخلص لنتائج عامّة تخص الاستبدال عموما، وأخرى خاصة بالاستبدال في النصوص التي تناولنا.

فالعامّة منها أنّ الاستبدال عامل اتّساق نصي قليل الاستخدام، وهو منعدم في كثير من النصوص –خصوصا الشعرية– إذا ما رأيناه بشكله النّمطي الذي حُصر فيه، لكنّه حاضرٌ بصورة غير نمطيّة كما رأينا في طرائق وسبل الاستبدال أن تكون صنوف الاستعارات والتشبيهات، حيث يحلّ اسم ظاهر مكان آخر من غير أن تتحقق شروط الإحالة.

والخاصّ من النتائج أنّ الاستبدال بصورته النّمطية لم يُستعمل مطلقا في ديوان أبي القاسم (ربيعي الجريح) بالقوالب التي ضبطها الباحثون وحصروا الاستبدال فيها، وإنّما جاء غير نمطي كما رأينا في المواضع التي رصدناها.

قائمة المراجع:

1 -إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2007م.
2 -أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988م.
3 -بن الدين بخولة، الاتساق والانسجام النصي- الآليات و الروابط-، دار التنوير، الجزائر، 2014م.
4 -ج.ب براون ج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومينرا التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (دط)، 1997م.
5 - جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، دار الألوكة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 2015م.
6 -روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1988م.
7 -زاهر بن مرهون الدّاودي، الترابط النّصي بين الشّعر والنّثر، دار جرير، عمّان، ط1، 2010م.
8 -سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،1994م.
9 -صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قياد، القاهرة، ط1، 2001م.
10 -طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1998م.
11 -محمد أبو القاسم خمّار، ربيعي الجريح –شعر–، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، (د.ت).
12 -محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، ط1، الجزائر، 2008م.
13 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، ج1،2001م.
14 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء،1991م.

الأطروحات:

1 -شريفة بلحوت، (2006/2005م)، الإحالة –دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين من كتاب Cohesion in English-، رسالة ماجستير، اشراف: الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر –يوسف بن خدّة-، الجزائر العاصمة.

2 -صالح بن عبد العظيم فتحي،(2009م)، شعر محمد مهدي الجواهري –دراسة نحوية نصيّة-، رسالة دكتوراه، اشراف: الطويل محمد عبد المجيد، كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.

3 -مفتاح بن عروس، (2007 -2008م)، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص لسانيات النص، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر-يوسف بن خدّة-، الجزائر العاصمة.

المقالات:

1- جمعان عبد الكريم، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصيّة، مجلّة علامات، مجلد 61، ماي 2007م.

2- ريما سعد سعادة الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 07، (د.ت).

3- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –الخطابة النبويّة أنموذجا-، مجلّة علوم اللغة، المجلّد التاسع، العدد الثاني، 2006م.